

البرنامج العلمى التأسىلى للعلوم الشرعية الأسكندرية – مصر – وخارجها

تفريغ الدرس الثالث عشر

لمقرر فضل الإسلام للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –

بشرح فضيلة الشيخ الدكتور / طلعت زهران
— حفظه الله —

يوم الخميس 09 جمادى الأولى 1442هـ – الموافق 24 ديسمبر 2020

بمسجد الإمام مسلم – العصابة القبلى- الأسكندرية – مصر

ملاحظة مهمة:

هذا تفريغ مبدئي تم من قبل الطالبات، ربما توجد به بعض الأخطاء الإملائية أو اللغوية غير المقصودة؛ فلذلك يُفضل الاستماع إلى الصوتية.

فلاستماع للصوتية أمر ضروري حتى يكمل الفهم بشكل جيد للدرس

(هذا مجهود الطالبات نرجو الاستفادة منه جزاهن الله عنا كل خيرًا)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

تكلّمنا في المرة السابقة عن أن الإسلام: هو دين الفطرة، ولا يُقبل دينًا سواه أبدًا، وهو وصية إبراهيم -عليه السلام-، وصيته، ووصية جميع الأنبياء.

الإسلام في كل زمان؛ لأن الإسلام هو المسمى لهذا الدين الذي أنزله الله في كل أمة. قال الله - عز وجل -: ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ أي بملة الإسلام ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:132].

إذا؛ إلزام بالتزام الإسلام؛ لأن الآية آخرها: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:132].

فالإسلام هو دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، والإسلام يعني جميع ما جاءت به الرسل في أزمانها؛ أمّا الإسلام بعد مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو ينطبق على معنيين:

الأول: الإسلام العام: الذي هو العقيدة والأصول التي جاء بها جميع الأنبياء؛ أصول توحيد الله - تبارك وتعالى -: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات؛ صرف العبادات كلها لله. هذا أمرٌ لا يختلف فيه نبيٌّ عن نبيٍّ، وهذا كل جميع الأنبياء أتوا بتوحيد العبادة: **(اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)**، من أول نوح - عليه السلام - وهو أول المرسلين إلى خاتم النبيين محمد - صلى الله عليه وسلم -.

هناك المعنى الثاني: وهو الإسلام بالمعنى الخاص؛ يعني ما يضاف إلى ذلك من شريعة، من أوامر ونواهي متعلقة بالفقه والآداب، فهذه الشرائع التي أتى بها محمد -صلى الله عليه وسلم- - أقصد في غير التوحيد- هي مهيمنة وناسخة للشرائع السابقة، خلاص. جاءت صفة للصلاة تنسخ الصفة التي كان عليها اليهود والنصارى، جاءت صفة للصيام تنسخ ذلك، وهكذا. خلاص، الشرائع التي أتى بها محمد -صلى الله عليه وسلم- في الفقه ناسخة لجميع الشرائع السابقة، أمّا التوحيد هو هو، فلا يتغير.

فشريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- مهيمنة وناسخة للشرائع السابقة إذاً الإسلام بعد بعثة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الإسلام الخاص.

طيب، هل معنى ذلك أن نُخرج من سبقنا من الأمم من مسمى الإسلام؟

لا، النبي يبعث ومن اتبعوه هم المسلمون؛ فآدم وذريته مسلمون -طيب- ، ونوح ومن تبعه مسلمون، وإبراهيم ومن اتبعه مسلمون، وكل نبي ومن اتبعه هم المسلمون، وأغلب أنبياء بني إسرائيل من ذرية إسحاق -عليه السلام-، أمّا محمد -صلى الله عليه وسلم- فهو من ذرية إسماعيل -عليهم السلام-.

طيب، كل هؤلاء جاءوا بماذا؟

جاءوا بالإسلام، كلهم جاءوا بالإسلام؛ فكل هؤلاء الأنبياء وأتباعهم مسلمون، لكن بعد ما حدث التحريف في العقائد السابقة، في الكتب

السابقة، في الشرائع السابقة، ووقع الأتباع هناك في الضلال وفي الجهل وفي الفرقة، والتحريف والتبديل، أراد الله - عز وجل - ما أراد؛ فنسخ الله ذلك كله بدين الإسلام الذي أتى به محمد - صلى الله عليه وسلم -، فصار الإسلام الآن هو الإسلام الخاص الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم -.

إذاً هناك إسلام عام يتناول التاريخ السابق كله، لكن الآن بعد مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يقبل إلا الإسلام الخاص، وهو الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم -، فلم يعد يسع أحد من الناس أن يدّعي أنه مسلم وهو بعيد عن شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ لا يجوز، ولا يجوز أحد يقول: لا، أنا لست من أتباع محمد، أنا من أتباع عيسى؛ أنا لست من أتباع محمد، أنا من أتباع موسى، هذا كله لم يعد، هذا كفر مباشر؛ لأنه خلاص الإسلام الموجود الآن الذي لا يقبل الله إلا هو: هو الإسلام الخاص.

ولذا تظهر النعرات في كل فترة وفي هذه الآونة - الأيام هذه - تظهر نعمة جديدة: هيّا نكون إبراهيميين، هيّا نوح الديانات الإبراهيمية؛ هذا باطل كله، نعوذ بالله من ذلك؛ بل هذا كفر - والعياذ بالله -، يقولون نحن أتباع الأنبياء؛ فلننضم أتباع موسى وأتباع عيسى وأتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - نكون كلنا إبراهيميين، هذا ضلال - نعوذ بالله - ضلال وتلبيس وغش وتضييع، صحيح نحن نؤمن بموسى - عليه السلام -، ونؤمن بعيسى - عليه السلام -، ونؤمن بكل الأنبياء والمرسلين، ونؤمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، ولكن إيماننا بالرسول، الرسل أنفسهم أوصونا باتباع محمد - صلى الله عليه وسلم -، ما من نبي إلا وبيّن لأمتة أنه سيأتي في آخر الزمان محمد - صلى الله عليه وسلم - فعليكم بأن تتبعوه؛ لأن الرسل أخذ الله عليهم ميثاقاً أنهم إذا ظهر فيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - اتبعوه وآمنوا به، فلا يجوز أبداً اتباع أي شيء غير ما

جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولا أن نعترف لأي أحد بأنه مسلم إلا إذا كان يؤمن برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويتبع شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم-، من حاد عن هذا فهو كافر، يدّعي أنه تبع إبراهيم، تبع عيسى، تبع موسى؛ هذا كله كافر، لا نعترف بأحدٍ بالإسلام إلا من كان على ملة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- أقسم فقال: ((والله لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار))، لا يسمع بي أي رجل في هذا العالم، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار، فالحديث في صحيح مسلم: عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)).

الحديث مرة أخرى -حديث قوي جدًا يرد على أمثال سعد الهلالي وغيره، لا يوجد شيء اسمه الديانة الإبراهيمية، خلاص الآن لا يوجد إلا الديانة المحمدية، لا يوجد إلا اتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- قال: ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة))؛ أي ممن هو موجود في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى يوم القيامة، الذين في زمنه بعد بعثته وكل الناس إلى أن تقوم الساعة يجب عليهم الدخول في طاعته، ((لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني))، ذكر هنا اليهودي والنصراني تنبيهًا على من سواهما؛ لأن اليهود والنصارى أعلى من غيرهم، أعلى من المجوس والوثنيين والهندوس والبوذيين؛ لأنّ لهم كتابًا، فإذا كان اليهود والنصارى هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا فغيرهم ممّن لا كتاب لهم أولى باتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)). رواه الإمام مسلم [رقم: 153]، حديث عظيم جدًا جدًا جدًا، ولذا الشيخ الألباني -رحمه الله- له تعليق جميل جدًا في السلسلة الصحيحة [ص: 157]، قال: "وهذا الحديث

صريحٌ في أن من سمع بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وما أرسل به، بلغه ذلك على الوجه الذي أنزله الله عليه، ثم لم يؤمن به -صلى الله عليه وسلم- **ماذا؟**

"أن مصيره إلى النار، لا فرق في ذلك بين يهودي أو نصراني أو مجوسي أو لاديني -يعني ملحد-.

واعتقادي -الكلام هذا للشيخ الألباني- أن كثيرًا من الكفار لو أُتيح لهم الاطلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام؛ لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجًا، كما وقع ذلك في أول الأمر، فليت أن بعض الدول الإسلامية تُرسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام ممن هو على علم به على حقيقته، وعلى معرفة ما ألصق به من الخرافات والبدع والافتراءات؛ ليحسن عرضه على المدعوين إليه، ذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقودًا، فالقضية تتطلب استعدادات هامة فلعلهم يفعلون"، للشيخ الألباني نظرة عظيمة، يقول هذا الدين العظيم لو بعض الناس الذين يتعلمون، ثم يذهبون إلى أوروبا وأمريكا وغيره وينشرونه، لدخل الناس في دين الله أفواجًا، لكن المشكلة أن الدواعش هم الذين ذهبوا، وأتباع الجماعات الضالة المنحرفة، فصوروا الإسلام للناس صورة بشعة جدًا، تفجيريات وأشياء واغتيالات، فالناس ازدادوا كفرًا إلى كفرهم -نعوذ بالله-، والجماعات الإسلامية بدل ما تتشغل بتعليم الناس التوحيد وتعلمه وتدارسه، انشغلت تلك الجماعات بالصراع على الكرسي والحكم -والعياذ بالله- فضلت وأضلت كثيرًا، وضلت عن سواء السبيل.

جماعة الإخوان أكبر جماعة في العالم، **مشغولة بماذا؟** مشغولة بالكرسي -والعياذ بالله-، فيا ليتهم انشغلوا بدعوة الناس إلى طاعة الله -عز وجل-، وعلى أن يكونوا على علم، ليس كجماعة التبليغ التي تسيء إلى الإسلام أكثر مما تنفع الإسلام.

فكلام عظيم جدًا هذا الحديث؛ حديث نص صريح في أن اليهود والنصارى وغيرهم، وأي أحد من هذا العالم إذا لم يتبع محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، ويسير على شريعته الناسخة لجميع الشرائع، فإنه لا يُقبل ذلك منه.

ثم ذكر قول الله عز وجل: **(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** [النحل: 123]، فهذا في جانب الاعتقاد نتبع ملة إبراهيم؛ لأن ملة إبراهيم هي هي، ليس ينالها نسخ، ملة إبراهيم هي ملة موسى، وهي ملة عيسى وهي ملة كل الأنبياء والرسل وجميع أتباعهم، أمّا التشريعات الفقهية والمتنوعة للحياة والسلوكيات والمعاملات، هذه شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- تنسخها، تنسخها نسخًا تامًا، فهذا لا بد، ولذا الإسلام جاء إسلامًا خاصًا على يد محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي بعثه الله رحمة للعالمين وهدى لهم، فينبغي اتباعه وترك أي شيء آخر.

ثم طبع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكر لنا حديث: **((إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَلَاةٌ مِنَ النَّبِيِّينَ وَأَنَا وَلِيُّ مَنْهُمْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي وَخَلِيلُ رَبِّي))**، ثم قرأ -قوله عز وجل-: **(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)** [آل عمران: 68]، وذكرنا هذا الكلام، وشرحناه بالتفصيل بفضل الله -تبارك وتعالى-؛ والولاية هنا: ولي النبي هو إبراهيم عليه السلام وهو أبوه، والفطرة كما ذكرنا هي موافقة العمل الصالح، ولذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))**؛ وهذا يبين أن الأساس كل الأساس في الحكم على أحد باستقامة أو بصلاح بتحقيق رضا الله -عز وجل-، **هو ماذا؟**

هو التقوى، هو العمل الصالح، وليس المظاهر، ولا الأموال، فالأموال، والأجسام، والصور، الله - عزّ وجلّ- يعطيها لجميع العباد، بل ربما تجد صور الكافرين وأجسام الكافرين أجمل من صور المؤمنين وأجسام المؤمنين، فالمُعَوَّل ليس على الأجسام ولا على الصور، وإنما على ما في القلوب، على الأعمال، على الإيمان، على التقوى، على أعمال القلوب التي يتحقق بها الإيمان الحقيقي، فالولاية لله لا تكون إلا بذلك، فإن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم؛ يعني لا يبالي الله - عزّ وجلّ- بذلك، وإنما يبالي ربي - عزّ وجلّ- بالقلوب فينظر إلى ما فيها من التقوى.

ثم ذكرنا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو فَرَطُ المؤمنين على الحوض، وأنه يسقي المؤمنين بيده -صلى الله عليه وسلم-، وأن أهل الضلال وأهل البدع يختلجون دونه ويقال: سحقًا سحقًا، ويبعدون عن حوضه -عن حوض رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم تراجعوا عن دين الله تبارك وتعالى، وتركوا الحق الذي كان ينبغي أن يتبعوه، وبَيَّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن له إخوانًا -نسأل الله أن نكون في هذا الزمان من إخوانه -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن الصحابة قالوا له: **أَوْ لَسْنَا إِخْوَانُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: ((أَنْتُمْ أَصْحَابِي))**، فهنا الأصحاب بمعنى الصحبة الخاصة، لكن إخواني هم الذين لا يخرجون من المعنى العام للأصحاب؛ يعني يحافظون على القواعد الشرعية التي أتى بها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويتبعوه رغم تباعد الزمان فبيننا وبينه الآن ألف وأربعمائة وأربعون سنة، ولكن سبحان الله! يجب علينا أن نسير دائمًا على طريقته سبحانه.

فدين الإسلام: هو دين الفطرة؛ لأنه ما من مولودٍ إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، هذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها: هي التوحيد، والإسلام بمعناه العام الذي هو توحيد الله

تبارك وتعالى، لكن العبد لا بد بعد ذلك أن يتبع الإسلام الخاص بتفاصيله المعروفة على حسب الشريعة التي جاء بها محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ولا بد أن تظهر الفتن لا سيما في آخر الزمان، فالؤمن عليه أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فليعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن يعض على أصل شجرة حتى يأتيه الموت.

هنا الحديث الذي قاله شيخ الإسلام -رحمه الله-؛ يعني قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: ((**ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها**)).

هذا طبعاً الحديث -هذا حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وهو كلام النبي صلى الله عليه وسلم، الشيخ يسوقه لنا -رحمه الله رحمة واسعة-؛ ليبين أن الأصل في نشأة الناس أنهم نشأوا على الفطرة.

طيب، ماذا قال؟

نرجع ثاني للحديث، الحديث المتفق عليه في البخاري ومسلم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- إنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((**ما من مولود إلا يولد على هذه الفطرة**))، وفي رواية: ((**إلا يولد على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، أو يمشركانه، فإن كانا مسلمين، فمسلم**)).

كما تنتج البهيمة جمعاء -أو تنتج البهيمة بهيمة جمعاء-، هل تجدون فيها من جدعاء؟ وحتى تكونوا أنتم تجدعونها)).

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (واقرأوا إن شئتم: **﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾**).

قالوا: (يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين)). حديث متفق عليه في البخاري ومسلم، ونشرح بعض الألفاظ التي فيه.

النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((ما من مولودٍ إلا يولد على هذه الفطرة))؛ والمراد في الفطرة في هذا الحديث لها أقوال:

أشهر الأقوال: إنَّ المراد بالفطرة: الإسلام، قال ابن عبد البر -رحمه الله-: المراد بالإسلام وهو المعروف عند عامة السلف.

وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؛ الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة -رضي الله عنه- في آخر الحديث: (اقرأوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾)، كما احتجوا بحديث عياض بن حمار -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: ((إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالهم الشياطين عن دينهم))؛ يعني الشياطين تحاول تبعدهم عن دينهم.

ولذا قال ابن زيد الطبري: قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾؛ أي: سدد نفسك لطاعة الله عز وجل.

(حَنِيفًا)؛ أي: مستقيمًا.

(﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾)؛ أي: صبغة الله التي صبغ الناس عليها، ولذا قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "من مات أبواه وهما كافران حُكِمَ بإسلامه"؛ لأنَّ نحن قلنا: ويولد على الفطرة، وأبواه ماتا اللذان كانا سينصرانه أو يمجسانه، فتعقبه بعض العلماء: بأنه كان يلزم إلا يصح استرقاقه، ولا يحكم بإسلامه إذا أسلم أحد أبويه، قالوا: لا، هو صحيح يرد على الفطرة، لكن لا نحكم له بالإسلام، وإنما نحكم بكفره بدليل إننا لو غزونا الكفار أخذنا الأطفال هؤلاء واسترققناهم -يعني جعلناهم عبيدًا-، واعتبرناهم

من الكفار، كذلك فإن الطفل إذا أسلم أحد أبويه صار مسلمًا، هو مسلم من لم يحتاج إلى أن يسلم أحده أبويه، وقال ابن القيم -رحمه الله- " ليس المراد بقوله يولد على الفطرة أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين؛ لأن الله يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: 78]، ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته -يعني ربنا خلقه عنده استعداد لفهم دين الله -عز وجل- ومعرفته-، فنفس الفطرة تستلزمه الإقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك؛ لأنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلاً، بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه الصارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن، بل كانت إياه في تأويل الرؤية"؛ يقصد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى نفسه يشرب لبنًا إنه على الفطرة؛ يعني كل مولود يولد على الفطرة؛ يعني على حب الله وعلى استعداد لإتجاه الدائم للإسلام، ل كن أبوهم الذين يبعدانه عن ذلك، وقيل: والمراد بالفطرة: الخلقة أن يولد سالمًا لا يعرف كفرًا ولا إيمانًا، ثم يعتقد إذا بلغ التكليف، وهذا ما رجحه ابن عبد البر وقال: إنه يطابق التمثيل بالبهيمة ولا يخالف حديث عياض؛ لأن المراد بقوله حنيفًا؛ أي على استقامة، ولكن تعقبه ابن عبد البر بأنه لو كان كذلك لم يكن استشهاد أبي هريرة بالآية له معنى.

وقال ابن القيم: "سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث: أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله -نعوذ بالله-، بل مما ابتدأ الناس إحداثه، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام، ولا حاجة لذلك؛ لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا

الإسلام، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية؛ لأن قوله فأبواه يهودانه محمولٌ على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم الإمام مالك بقوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: ((**الله أعلم بما كانوا عاملين**)))؛ يعني خلاصة هذا الكلام أن الله - عز وجل - يخلق المولود مستعدًا للاستمرار على فطرة الله، وللاتجاه إلى الإسلام الدائم، لكن الأبوين هما السبب في أن يبعدها وأن يحرفاه عن دين الله؛ فأبواه يهودانه وأبواه ينصرانه، وأبواه يمجسانه وهكذا، فإدًا: ((**ما من مولود إلا يولد على هذه الفطرة**))) أو ((**لا يولد إلا على هذه الملة**))), في رواية صحيحة: ((**لا يولد إلا على هذه الملة**)))؛ يعني على ملة الإسلام، وهذه في رواية مسلم وفي الترمذي.

((**إلا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه**)))؛ يعني حتى يستطيع الكلام والفهم.

((**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**)))؛ الأبوان هما اللذان يفعلان فيه هكذا، وهذه الرواية في البخاري ومسلم.

قال: ((**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يشركانه**))), وفي رواية اسمها: ((**أو يشركانه**))), الكفر ليس من ذات المولود و... طبعًا، ولكن حصل بسبب خارجي.

قال: ((**أو يشركانه، فإن كان مسلمين فمسلم**)))؛ فإن كان أبواه مسلمين فهو مسلم.

((**كما تنتج البهيمة**)))؛ تنتج يعني تلد، كما تنتج البهيمة - كما تلد البهيمة -

((**بهيمة جمعاء، هل ترون فيها من جدعاء؟**)): البهيمة الجمعاء: التي لم يذهب من بدنها شيء؛ يعني سليمة، أعضائها سليمة كلها، وسميت بذلك لاجتماع أعضائها.

((هل ترون فيها من جدعاء؟)): يعني هل ترون بهيمة تولد مقطوعة الأذن، لا، ليس هناك بهيمة تولد مقطوعة الأذن أبدًا.

((حتى تكونون أنتم تجدعونها)): أنتم تفعلون فيها ذلك.

يعني تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهيو لقبول الدين، فلو أن المرء ترك عليها لاستمر ملازمًا لها ولم يفارقها إلى غيرها؛ لأن حُسن هذا الدين ثابت في النفوس، ولكن يعدلون عنه بسبب آفة من آفات البشر كالتقليد؛ يقلدون اليهود ويقلدون النصارى؛ فالمعنى أن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت هذه القلوب باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق، ودين الإسلام هو الدين الحق؛ حيث قال: ((كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء))؛ يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة فلو ترك كذلك لظل بريئًا من العيب، لكن هم الذين يتصرفون فيه فيقطعون أذنه مثلاً فيخرج عن الأصل وهو تشبيهه واقع في البيئة العربية تكلم عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

وقال أبو هريرة: ((واقرأوا إن شئتم ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الرُّوم: 30]، قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»))، لكن هذا لا ينفي أنه لو مات وهو صغير أن الله يدخله الجنة وهذا وعدٌ منه ورحمة من ربه -تبارك وتعالى- أن الأطفال يدخلون الجنة، وظاهر هذا الكلام كما قال الخطابي: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يفت السائل عنهم"؛ يعني لم يفت عن الصغار ماذا يكون فيهم؟

فيفتي بعد ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبين أنهم مع إبراهيم -عليه السلام- ولكن هو رد الأمر إلى علم الله، ولم يجزم بأنه جعلهم مسلمين أو أحقهم بالكافرين، ولكن طبعًا هم لو بقوا أحياء -الله أعلم- ماذا

سيفعلون؟! هذا معنى الكلام أن لو بقوا أحياء حتى بلغوا وكبروا؛ **فالله أعلم هل سيظلون على الفطرة أم سينحرفون إلى الكفر -والعياذ بالله-؟** والله أعلم، ولذا عائشة -رضي الله عنها- لما توفي صبي من الأنصار فقالت: **"طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه"**، فقال صلى الله عليه وسلم: ((أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم))، فالكلام عن المستقبل الله -عز وجل- أعلم به، لكن إذا ماتوا وهم صغار فهنا يدخلهم الله -تبارك وتعالى- جنته برحمته وفضله ووعد منه -تبارك وتعالى-.

فهذا حديث عظيم هو تكملة طبعاً للكلام الذي مضى في المحاضرة السابقة.

قال: وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم))، فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: ((نعم، وفيه دخن))، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي -يبتدعون في دين الله-، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر))، قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم، فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها))، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: ((قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا))، قلت: يا رسول الله! ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»)).

تظل دائماً مع جماعة المسلمين وإمامهم، هذا في حال البدع وهذا رأيناها في أزماننا، الدعاة الذين هم على أبواب جهنم هم طبعاً أهل البدع والضلالة ودعوا الناس إلى الخروج والثورات والاعتصامات، وفسدت

الدنيا فسادًا كبيرًا، والآثار الخربة موجودة الآن؛ ظاهرة في سوريا واليمن والعراق وليبيا وغيرها، فلا بد الإنسان يحذر من أناسٍ من جلدتنا يتكلمون بالسنتنا: كالقرضاوي وغيره.

فقال حذيفة -رضي الله عنه-: **قلت: "يا رسول الله ما تأمرني إن أدركت ذلك؟" قال: ((تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم))**: تلتزم حاكم المسلمين، مجموع المسلمين.

((قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟))

قال: ((فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك))، وفي رواية مسلم، -طبعًا هذا متفق عليه-، في رواية مسلم: **"ثم ماذا؟ قال: ((ثم يخرج الدجال معه نهر ونار؛ فمن وقع في ناره، وجب أجره وحُط عنه وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحُط أجره))**، قلت: ثم ماذا؟ قال: **((هي قيام الساعة))**. وقال أبو العالية: **"تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم -صلى الله عليه وسلم- وإياكم وهذه الأهواء"**.

وهذا إن شاء الله ما سنشرحه من حديث حذيفة مع كلام أبي العالية، هذا ما سنشرحه إن شاء الله في المحاضرة القادمة.